

وهكذا وضعت الحركة الصهيونية نفسها بالكامل في خدمة السيد الأمريكي صاحب ملايين ومليارات الدولارات والوريث الشرعي المقبل للإمبراطورية البريطانية في الشرق الأوسط ، وانطلقت أمريكا بسرعة في تدعيم استيلاء عصابة المرتزقة الصهيونيين ، أو جنود الصدام النازيين الجدد ، على فلسطين ذات الموقع الاستراتيجي الهام للسيطرة على الشرق الأوسط ، ليؤدوا الدور المطلوب منهم ضمن سياسة الاستعمار الجديد التي تمارسها . ولذلك انطلقت العصابات الاسرائيلية المسلحة السرية « الهاجاناه » و « الأرجون » و « شتيرن » — بتوزيع متقن للدوار وان كان يعكس بعض الاختلاف في منهج التطبيق — تمارس ضغطا عسكريا شديدا على بريطانيا عقب انتهاء الحرب العالمية الثانية مباشرة تقريبا وحتى عام ١٩٤٧ حين أعلنت بريطانيا رغبتها في احالة المشكلة على هيئة الأمم المتحدة . فكانت عمليات سفن وتخریب خطوط السكك الحديدية ومختلف مرافق حكومة الانتداب ومهاجمة المطارات وسرقة مخازن السلاح وقتل الجنود الانجليز وجلد ضباطهم علنا في شوارع المدن . كل ذلك والسلطات البريطانية لا تستطيع ولا تريد ان تتخذ اجراءات حاسمة مضادة للعصابات الاسرائيلية كالتى كانت تتخذها في « كينيا » أو « الملايو » مثلا ! لقد كانت بريطانيا تريد حلا بريطانيا صرفا لمشكلة فلسطين ، حلا يضمن انشاء دولة اسرائيلية تعمل في خدمتها أساسا وضمن كومونولث بريطاني — عربي — اسرائيلي يضمن مصالحها بعيدا عن تزايد النفوذ الأمريكي وسيطرته . ولذلك عملت على الحد من الهجرة والتقليص النسبي لقوة العصابات السرية بواسطة حملات التفتيش عن الاسلحة وضبطها ومقاومة سفن الهجرة غير المشروعة الخ . وقد كان هذا هو محتوى المشاريع البريطانية المختلفة المقدمة الى العرب واليهود عقب الحرب (مشروع « موريسون » المقدم في سبتمبر ١٩٤٦ في مؤتمر لندن الذي كان يتضمن تقسيم فلسطين الى ٤ اقسام ، منطقة عربية واخرى يهودية ، منطقة القدس ، منطقة النقب ، مع وجود حكومة مركزية مختلطة تشمل فلسطين كلها تتولى شؤون الدفاع والخارجية والجمارك تتبع المندوب السامي البريطاني . ثم مشروع « بيغن » المقدم في ١٩٤٧ الذي لا يختلف كثيرا عن مشروع موريسون) وقد اتبعت « الهاجاناه » — خلال المرحلة التي امتدت من عام ١٩٤٥ حتى فبراير ١٩٤٧ حين أعلنت بريطانيا تحويل مشكلتها فلسطين الى الامم المتحدة ، — استراتيجية عمليات عسكرية محدودة يطلق عليها « آلون » اسم « استراتيجية الحرب البناءة » (٤٦) يمكن تلخيصها في الآتي :

تنشيط الهجرة السرية بكل الطرق بحرا وبراً وطوال الفترة من ١٩٤٥ الى ١٩٤٨ عبرت البحر الابيض المتوسط ٦٥ سفينة وبلغ عدد المهاجرين نحو ١٠٠ الف معظمهم ممن كانوا في معسكرات الاعتقال النازية . وانشاء مستعمرات « كيبوتزات » جديدة في « المناطق الحيوية استراتيجيا لمواجهة الاحداث المتوقعة » (٤١) . ثم توجيه ضربات عسكرية محدودة الى مراكز الجيش البريطاني والادارة البريطانية وفقا لتكتيكات حرب العصابات في المدن والمقاومة السرية ، وعلى أساس « ان تتجنب الخسائر في الارواح او على الأقل تنخفض بها الى الحد الأدنى سواء على الجانب البريطاني او اليهودي في جميع عملياتها » (٤١) . ولقد كان هدف هذه الاستراتيجية كما يقول « آلون » تمهيد الأرض لنشاط صهيوني في لندن وفي غيرها من العواصم وفي الامم المتحدة ، توجهه وتنسقه الادارة السياسية للمجلس التنفيذي للصهيونية العالمية في القدس . . . لقد كنا نفضل هدف ارغام بريطانيا على تسليم انتدابها الى الامم المتحدة » (٤١) . وبطبيعة الحال كانت أمريكا في الاسم المتحدة توجهها كما تشاء .

ويستطرد « آلون » فيقول « كان هدف العمليات الحربية هو تقويض مركز القوات البريطانية وشعورها بالامن ومكانتها ، وفوق ذلك كله اقناع « هوايت هول » مرة اخرى وأخيرة أنه بدون موافقة اليهود لن تستطيع بريطانيا ابقاء فلسطين كقاعدة آمنة ومغيدة في هذه المنطقة الحيوية . . . وفي النضال العسكري ذاته ، أثبتت الاستعدادات